كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم الامرين
وهذه خدعه لا يرتضيها عاقل ولا ينخدع بها مميز ولتعلم ان المغرى
بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الاباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق
مدح هو اعرف بحقيقته ولتكن تهمة المادح اغلب عليه فقل مدح كان
جميعه صدقا وقل ثنا كان كله حقا ولذلك كره اهل الفضل ان يطلقوا
السنتهم بالثنا والمدح تحرزا من التجوز فيه وتنزها عن التملق به وقد
روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عيابين
ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين وحكى الاصمعي ان ابا بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه كان اذا مدح قال اللهم انت اعلم بي من
نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا
يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وقال بعض الشعرا

اذا المرء لم يمدح بحسن فعاله فمادحه يهذي وان كان مفصحا

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه
ان الناس قد غفلوا عن فضله واخلوا بحقه واما ليخدعهم بتدليس
نفسه فيعتقد ان قوله حق متبع وصدق مستمع واما ليتلذذ بسماع
الثنا ويسر نفسه بالمدح والاطرا كما يتغنى لنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا
مطربا ولا غنا ممتعا ولاي ذلك كان فهو الجهل الصريح والنقص الفاضح
وقال بعض الشعرا

وما شرف ان يمدح المرء نفسه ولكن اعمالا تذم وتمدح
ولا كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل اصحاب التجارة تربح
ولا كل من ترجوا لغيبك حافظا ولا كل من ضم الوديعة يصلح

وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق الذين هم اصفيا القلوب
ومرايا المحاسن والعيوب على ما ينبهونه عليه من مساويه التي صرفه
حسن الظن عنها فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعلون ما ينبهونه عليه
من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه وقد روى انس بن مالك رضي الله
تعالى

تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن مرآة المؤمن اذا
راى فيه عيبا اصلحه وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول رحم الله
امرأ اهدى الينا مساوينا وقيل لبعض الحكما اتحب ان يهدى اليك
عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روي عن عمر
بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال لابن عباس رضي الله تعالى عنهما
من ترى ان نوليه حمص فقال رجلا صحيحا منك صحيحا لك قال فكن انت
ذلك الرجل قال لا ينتفع بي مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقد قيل
في منثور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد زكاها فاذا انقطع اسباب
الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا
وذلك من اوكد اسباب الكرامة واقوى مواد النعم وابلغ شافع في
القلوب يعطفها الى المحبة ويثنيها عن البغضة وقال بعض الحكما من
برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من
البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة وقال مصعب
بن الزبير التواضع مصايد الشرف وقيل في منثور الحكم من دام تواضعه
كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم اخلاقا مذمومة يظهر
بها سوء طباعهم ولاخرين فضايل محمودة تبعث عليها زكي شيمهم لان
لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن الاسرار مخزونها
ولا سيما اذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تاهب وقد قال بعض
الحكما في تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل
من كانت ولايته فوق قدره تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره
تواضع لها وقال بعض البلغا الناس في الولاية رجلان رجل يجل عن
العمل بفضله ومروته ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناته فمن جل
عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ومن جل عنه عمله تلبس به تجبرا
وكبرا الفصل الثاني في حسن الخلق روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق

بعيوبنا صح
الغنى صح
لاقولهم صح

Copyright © King Saud University